حاجة الإنسان إلى السلامة

يحتاج الإنسان إلى السلامة؛ كونها تشكل قاعدة الانطلاق، تسمح له بمزاولة نشاطاته البشرية، في غيابها لا تستقيم حياة الفرد أو الجماعة؛ ليعيش في ظلها حياةَ العافية من ضرر يداهمه أو حدث يُلم به، فلا أمانَ في حال محفوفٍ بخطر، يدركه بنزعته، يندفع إليه تلقائيًّا، يلمسه بجوارحه الظاهرة أو بحواسه الباطنة، هي بمثابة مجسّات حسيَّة يدق ناقوسها كلما تلمست خطر، أو حاق نذير شؤم.

ففي ذلك الحال يشعر الإنسان بانقباض داخلي يُدْخله في دوامة القلق، إنه نبض الخاطر يدق ناقوس الإنذار، يحثه على البحث عنه؛ لمنع حدوثه، فإما أنْ يتجاوب معه، فيعمل على اتخاذ إجراءات ضده، أو لا يتجاوب معه فلا يعمل على منعه فيقع في دائرته.

فالسلامة أنْ يسلم الإنسان من أي ما يعكر صفو حياته؛ لتحقيق ذاته وضمان عيشة هانئة، وبقاء هادىء خالٍ من الأذى، وكرهًا في الاضطراب، وعلى هذا يأتي عامل السلامة حاجة مُلحَّة يؤكد ضرورتها؛ فهي مطلب ضرورة في تأكيد حاجاته الأساسية من مسكن ومأكل ومشاغل وتوفير خدمات ورفاه عيش والبحث عن مكاسب ومنافع؛ ليكون في مأمن مما يهدده.

فإنِ اطمأنّ على سلامته ضمن الأمان المرتبط بحياته، فالسلامة تعبير عن حالة شعورية نفسية من رعب المحدثات، وهي مطية

انطلاق لإشباع دوافعه الغريزية، ليسعى سعيه بأمان، ويمارس أنشطته بسلام، مما يهدد معاشه أو يزعزع استقراره، فتضحى بذلك محرك دفع قوي للتعايش مع مكونات الحياة؛ ليتحرك الإنسانُ في محيطه آمنًا من غول الحوادث وشبح المخاطر، خليق بالإنسان أنْ يستحضر قيمة السلامة وتوثيق بنودها، وعلى قدر ما يولي اعتباراتها، تكون سلامته ومن لم يُولها حقها فذلك يعني أنه يجازف بضروب حياته.

فمن الناس منْ يعظم شأنها يستدر نفعها، ومنهم منْ يستهين بها ويغيب عنهم قسوة نتاجها وفظاعة مردودها، يضعونها في موضع احتمال عدم الوقوع في حين ما تلبث أن تتفاقم حتى تتجاوز نقطة لا تقبل المعالجة، فيحدث الحدث الذي كان في نظره احتمالًا مُؤجلًا فإذا به واقعًا مؤرقًا .

فالسلامة مظلة تولد أمانًا وعدمها يورث بؤسًا. فأيهما أحقّ بالاتباع؟ أليس مظلة السلامة؟ نعم. فحسبنا منها أنها مستحث شرعي وداعٍ إنساني، ومبدأ معاشي، وواقع حياتي، وهاجس غريزي، ومطلب فطري، لا تكرس نفسها بنفسها، ولا تستوي على عودها ما لم يكرسها الإنسان ذاته، ويفعلها بنفسه، واعتمادها جزء أساسي من أساسيات معطياته منسجمًا مع كيانه المرتبط ارتباطًا وثيقًا بها، ومنها تنبثق روعة الوجود، لتبذر روع البقاء.

فلا يتهاون الإنسان ببوادر خطر مهما كان صغيرًا، فالصغير يكبر ويورث هلاكَ نفس أو تلفَ مال أو دمارًا مكتسبًا، في أفقها ينمو الحاضر، يتهادى المستقبل برعاية الله وحفظه الذي حثّ

عباده على رعاية سلامتهم، وأودع فيهم مجسات تجسّ الخطر، وألهمهم إلى أسباب النجاة من تبعاته.

فلا سكونَ في غياب السلامة، ولا سلامةَ في غياب الاحتراس ، وهي على هذا النحو تبدو محصلة من ثلاثة أبعاد:

- بُعد زماني.
- بُعد مكاني.
- بُعد نفسي.

فالزماني يمثل جانب الوقت من حيث التجاوب مع نُذر الحدث وإثاراته، فكلما كان التجاوبُ سريعًا كانت المعالجة في وقتها المناسب قبل أنْ يتفاقم ويصعب معالجته، أو يتطلب مشقة لعلاجه، والمعالجة تتضمن أيضًا استجابة فورية للتعامل السريع مع الحدث إذا وقع، وهذا لن يتأتَّى إنْ لم يكن هناك استعداد مسبق بأدوات تفعيل، كأداة مدافعة ومقاومة يستخدمها في الوقت المناسب؛ لمنع وقوع الحوادث أو مدافعتها إذا وقعت كطفاية حريق مثلًا إن لم تكن موجودة في المنزل، فكيف يمكن السيطرة على الحريق والتدخل الفوري والقضاء عليه في الوهلة الأولى لوقوعه وإلا سيتفاقم وتقع أضراره وخسائره؟ فبقدر ما تكون المسارعة للمعالجة تكون السيطرة.

والمكان يمثل موقع الحادث، وظروف وقوعه، فحوادث المنازل عادة ما تكون مباغتة خاصة إذا وقعت في ساعات الاسترخاء وأوقات الراحة، وهما صفتان ملازمتان للمنزل؛ لأنه مأوى الراحة ومكان استكانة، ففجائية وقوع الحوادث قد تشل حركة التصرف

في المنزل، مما قد يؤدي إلى اللجوء إلى تصرفات عشوائية كرد فعل سريع؛ خشية من اتساع نطاقه فتأتي ردود أفعال تجاهه مرتبكة تقلل من فرص إمكانية التغلب عليه واتقاء شره.

وهنا نود أنْ ننوه على عفوية السلوك البشري عند وقوع حوادث الحريق، ومهما كانت درجة الخطورة المصاحبة لحوادث المنازل فهي مفجعة، وأفجع ما فيها حوادث الحريق.

إن مجرد رؤية اندلاع نار أو دخان أو الإحساس بها، أو حتى إطلاق صيحة بكلمة نار أو حريق في هدوء البيت، فهو في حد ذاته أمر مثير للخوف وشعور بالرعب يحوّل جو الهدوء إلى انزعاج، فتتداعى الصيحات، وهنا يدب الارتباك والهلع.

وقد كشفت الأبحاث في بعض الدول المتقدمة حيث أجريت استطلاعات لرصد ردود أفعال حوادث الحريق، فوجدوا أنها غالبًا ما تتسم بتصرفات عشوائية مما يزيد الأمر سوءًا في كثير من الحالات، ويزداد الموقف صعوبة إذا وقع في دائرته الصغار بما يركز نوبة الفزع عليهم وبالأخص ما ينتاب النساء من روع شديد، وتعالي الصيحات لا سيما إذا صوحبت بطلب الاستغاثة.

الكثير والكثير لا يضع مثل هذا الموقف في اعتباره، فقد تأتي تصرفاته بما يزيد الأمر سوءًا ينتج عنها حوادث جانبية أفدح من الحريق نفسه، فلنأخذ من السعة إلى الضيق، ونضع في حسابنا مثل هذه المواقف؛ لنتفادى الوقوع في زوايا الحوادث الضيقة.

أما البُعد النفسي: فالإنسان بطبعه يفزع مما يُشكّل خطرًا عليه، وينتابه الخوف كلما ضاقت دائرته، أو لمس أثره ، فيصيبه الهلع

ويستولي عليه الفزع، تأتي تصرفاته تبعًا لها عشوائية وغير مركزة، فقد يكون أمامه وعاءٌ به سائل يعتقد أنه ماء يصبه على النار لإطفائها، فإذا به سائل مشتعل، فيدلقه على النار فتزداد اندلاعًا، أو ربما تشتعل مقلاة (طاوة) على موقد الغاز في المطبخ، فتسارع المرأة في المطبخ لإطفائه بالماء فيزداد التهابًا، أو بسبب الارتباك تسارع إلى إغلاق أسطوانة الغاز فتفتحها فيزيد النار اشتعالًا. وتصوَّر مثل ذلك الكثير من الأخطاء العشوائية.

❁❁❁